الموسيقى العربيّة

لحضرة نجيب افندي ماضي ب . ع .

الموسيقى كلمة يونانيّة يراد بها ترتيب الاصوات او الالحان على طريقة تلتذ بها الاذن . وسنحصر كلامنا في ما يعرف بالموسيقى العربيّة وقبل الخوض في ذلك نلمع بالاختصار الى تاريخها العام وما طرأ عليها من التغيير في الازمان الغابرة فنقول

نبذة اولى في تاريخ الموسيقى

ظهر هذا الفن بادئ بدء في البلاد المصريّة بين ائمّة الكهنة الذين كانوا يوقعون الانغام والالحان لآلهتهم كما يظهر من الرسوم الّتي سبقت في السنة الماضية من المقتطف . ولم يمضِ عليهِ زمن حتى اخذهُ اليونانيون وبحثوا فيهِ بحثاً مدققاً ثم اخذهُ الرومانيون ولم يقصّروا عن سواهم في توسيع نطاقهِ وبقي موضوعاً للتغيير والتحوير حتى تداولتهُ الامم الاوربيّة كالايطاليين والالمان فوضعوا لهُ قوانين ثابتةً ونظموا من بدائع سحرهِ ما يمتّن العقول ويأخذ بمجامع القلوب وينهض الهمم الضعيفة الى طلب المعالي . اما الموسيقى الشرقيّة فقد نشأت بين الصينيين واليابانيين فارتقى علماؤهم في مدارج الفنون الموسيقيّة وكشفوا عن اسرار حقائقها واخترعوا آلاتٍ عديدة من ذوات الاوتار وغيرها وظهر منهم مَن انتقد على الموسيقى الاوربيّة وكان انتقادهم مصيباً . وقد ألّفوا كتباً سدلت عليها تقلبات الدهور ستر الظلام حتى لم يعد لها بعد ذلك ذكر بين الانام ثم شرع فيها الفرس فعوّضوا عمّا اندثر منها والّفوا انغاماً بديعة التوقيع لم تزل الى يومنا هذا مسمّاة باسماء فارسيّة كما يشهد ما سنذكرهُ في هذه المقالة . ثم انتقلت صناعة الموسيقى الى العرب في ايام الخلفاء العباسيين واتصلت منهم الى الاتراك في القرون الوسطى فنقحوها وزادوا عليها فادهشوا العقول برقة ألحانهم وبراعة توقيعهم

نبذة ثانية في قواعد الانغام العربية وترتيب الالحان

الاصوات الموسيقيّة درجات او ابراج متتابعة الواحدة فوق الاخرى الى عددٍ غير متناهٍ . فالابراج الاصليّة سبعة تبتدئ بالياكاه ثم عشيران فعراق فرست فدوكاه اوبنجكاه فسيكاه فجيهاركاه ويقال لها "ديوان" وفوق هذا الديوان ديوان آخر وابراجهُ النوى فالحسيني فالاوج فالماهور فالمحيّر فالبزرق فالماهوران . وما ارتفع عن ذلك فهو جواب لما يقابلهُ في الديوان الذي تحتهُ كقولك جواب النوى ويقال لهُ الرَمَل وجواب الحسيني

وجواب جواب النوى وجواب جواب الحسيني الى ما لا نهاية لهُ وهكذا في الديوان الذي تحت الاصلي فانهُ قرار لما فوقهُ او قرار لقرارهِ معاكساً لما سبق . وان قيل لماذا لا يقسم الديوان الى اكثر من سبعة ابراج قلنا ان الصوت لا يؤلف الاّ سبعة ابراج بارتفاعهِ وانخفاضهِ فاذا قسمناهُ الى عشرة صعب على المغني او الموقع ان يفتنها او يضربها على آلةٍ فضلاً عمّا ينتج في الاذن من التأثير الذي تعافهُ فقسمة الديوان اذًا الى سبعة ابراج تطابق طبيعة الصوت . وهذه الابراج مرتبة بعضها فوق بعض كدرجات وما بينها فسحات يختلف بعضها عن بعض بالكبر فيقسمها العرب الى كبيرة مؤلفة من اربعة ارباع وصغيرة مؤلفة من ثلاثة ارباع . وعدد الارباع في ديوان واحدٍ اربعة وعشرون ربعاً كما يظهر في الشكل المقابل وقد رسمهُ العرب على شكل دائرةٍ لكننا اخترنا هذا الرسم ليطابق ذوق اهل العصر . فترى في العامود الايمن من كل ديوان اعدادًا تنوب عن الابراج الّتي على اليسار . ويختلف الديوان العربي عن اليوناني بان الاول مقسوم الى اربعة وعشرين ربعاً والثاني الى ثمان وستين ثانية فلا يتقابلان الاّ في اربعة مواضع فقط ويختلف عن الديوان الافرنجي لانهُ لا تظهر فيهِ المسافة الثلث الّتي في الافرنجي . ويظهر ان الموسيقى العربيّة تختص بحسن النغم والافرنجيّة بمساواتهِ

والالحان العربيّة مختلفة واختلافها ناجمٌ عن اربعة امور . الاول طبقة النغم وهي كناية عن اتخاذ برج من الابراج كمفتاح (حسب اصطلاح الاوربيين) والانتقال في سلمهِ صعودًا ونزولاً مع حفظ المساحات الّتي يتغير النغم بتغيرها . الثاني اختلاف الايقاع عند الانتقال من برج الى آخر وهذا لا يمكن الافصاح عنهُ بالكلام لان العرب لم تستعمل علامات موسيقيّة كالاوربيين . الثالث تعويض الابراج بارباع كلحن " الحجاز " مثلاً فان سلمهُ يتركب من ابراج اصليّة وارباع عوضاً عن الابراج . الرابع تضعيف الالحان اي الايقاع على برج يكون جواباً لما تحتهُ والصعود والنزول على سلمهِ بحيث يبقى الجواب طبقة للنغم وبهذا يتضاعف الصوت فينتج عنهُ لذة

والانغام عشرة يبتدئ كل منها على برجٍ من ابراج الديوان فيتفرّع منهُ انغامٌ فرعيّة واول الانغام " الياكاه " ويتفرع منهُ نهوفت العرب وشدّ عربان ونهوفت الاتراك والنوى المسمى بالياكاه . والثاني " العشيران " وفروعهُ ثلاثة العشيران وعجم العشيران ومقابل العشيران . والثالث " العراق " ويتفرع منهُ العراق وسلطان العراق والعراق الزمزمي ومخالف العراق وراحة الارواح والرمل وراحة شدّه . والرابع " الرست "

وفروعهُ الرست والنكريز وسدكار الصحيح ومارينا ونيشاورك وبنجكاه وسادكار المتعارف والحجازكار وشاورك المصريين . والخامس " الدوكاه " وفروعهُ الدوكاه المسمَّى بعشاق

الديوان الاول

٨	٢٤	نوى
	٢٣	تك حجاز
	٢٢	حجاز
	٢١	عرابه
٧	٢٠	جيهاركاه
	١٩	تك بوسليك
	١٨	بوسليك
٦	١٧	سيكاه
	١٦	كردي
	١٥	نم كردي
٥	١٤	دوكاه
	١٣	تك زرجله
	١٢	زرجله
	١١	نم زرجله
٤	١٠	رست
	٩	نكوشت
	٨	كوشت
٣	٧	عراق
	٦	قرار عجم
	٥	قرار نم عجم
٢	٤	عشيران
	٣	قرار نكحصار
	٢	قرار حكحصار
	١	قرار نحصار
١		ياكاه

الديوان الثاني

١٥	٢٤	رمل توتي
	٢٣	جواب تك حجاز
	٢٢	جواب حجاز
	٢١	جواب نم حجاز
١٤	٢٠	ماهوران
	١٩	تك حسيني شد
	١٨	حسيني شد
١٣	١٧	بزرق
	١٦	سمبولي
	١٥	نم سمبولي
١٢	١٤	محير
	١٣	تك شهناظ
	١٢	شهناظ
	١١	نم شهناظ
١١	١٠	ماهور
	٩	تك نهوفت
	٨	نهوفت
١٠	٧	اوج
	٦	عجم
	٥	نم عجم
٩	٤	حسيني
	٣	تك حصار
	٢	حصار
	١	نم حصار
٨		نوى

الاتراك والصبا واسمهُ رَكْب والصبا الهمايوني وصبا شاويش ونادي وبيات عجم وبيات نوى وبيات حسيني وشوري بيات وزوري بيات وزيراكند وحسيني وحسينيك

وبوسليك المعروف بالعشاق وحصار البوسليك وحصار وشهناظ البوسليك وكردي حسيني وزورفقيد ونجدي حسيني وصبا حسيني وشوركي وعروب وحجاز وعرابه واصبهان حجازي وشاورك وعرازبي وناريز وبابا طاهر ومحيّر ومقابل المحيّر وعبقاري وجوزل وزرجله واسكي زرجله وعجم بوسليك وكاره . ويسمّى الدوكاه محطّ الانغام لانّ اكثرها توقّع عليهِ كما ظهر . والسادس "السيكاه" وفروعهُ السيكاه والمستعار وحزامَ وحدحام ومایاح وسلميك وحصار السيكاه وبستنكار ونجدي سيكاه وعجم سيكاه وبزرق اوصلاة الله . والسابع "الجيهاركاه" وفروعهُ الجيهاركاه وزونجله وماهوران. والثامن "النوى" وفروعهُ النوى ونهاوند وبعضهم يوقعهُ على الرست ونهاوند الصغير والرهاوي ونيشابور . والتاسع "الحسيني" ويتفرّع منهُ حسيني المصريين . والعاشر "الاوج" ويتفرع منهُ الاوج وبهلوان واوج خرسان واوج داره والعجم . والحادي عشر "الماهور" وفروعهُ الماهور وكرداني عرابي ورمل توتي . ولكل من هذه الانغام الفرعيّة ابراج مخصّصة بهِ تميزهُ عن غيرهِ من الانغام نقتصر عن ذكرها لضيق المقام

ومن الانغام ما يكون "ثابتاً" وهو ان اقسامهُ تطبّق على حركاتٍ موزونة حتى اذا وصلنا الى الطبقة نراجع ما مضى دون تغيير وحينئذٍ تقوم الكلمات الموزونة حسب التفاعيل مقامها وهذا يسمّى "نشيداً" . ومنها ما يكون "حرًّا" اي ان حركة اقسامهِ اختياريّة غير موزونة وزناً شعريًّا كتلحين آيات القرآن الشريف . فيستدل من ذلك انهُ يمكن الموسيقي ان يلحّن الكلمات الموزونة وغير الموزونة ويطبقها على الانغام الّتي يوقعها راجعاً بعد ذلك الى طبقة النغم بشرط ان لا يكون مصحوباً بآلة اخرى مع آلتهِ . والرافقة الآلات الموسيقيّة بعضها لبعض ولحفظ الترتيب بين اجواق المغنين بطريقة توتم السامع وحدة المغني او الموقع رُتّبت حركات الانغام على قواعد موزونةٍ وهي تتركب من كلمات مستعارة من علم العروض منها السبب الخفيف والسبب الثقيل المقابلان للتك والضم واللذان بتكرارهما او ترتيبها بصفوف مختلفة يؤلفان ما يشبه التفاعيل الشعريّة ويكون لها اسماء مخصوصة للتمييز بين وزن وآخر فاذا اراد احدٌ ان يطبق نشيداً على نغمٍ ما فعليهِ ان ينتخب النغم اولاً ثم يطبق حركاتهِ على التفاعيل الّتي يوزن عليها النشيد واما من اراد ان يطبق نغماً على نشيد فعليهِ ان يكون ذا اختبار في نظم الشعر والموسيقي ايضاً . والتقدّم في كليهما متوقف على ميل الانسان الفطري

اما السبب الخفيف فعبارة عن حرف متحركٍ يليهِ ساكن كما في قولك ضم وتك

والسبب الثقيل عبارة عن حرفين متحركين كقولك مَعَ وتَكَ . والوتد المجموع كناية عن حرفين متحركين بينهما ساكن . ومن هذه الثلاثة تتركب الاوزان الشعرية اما العرب فلم يضعوا اسماء خصوصيَّة للاجزاء الَّتي تتركب منها التفاعيل كما في اللغات الاجنبيَّة بل اقتصروا على استعمال التفاعيل على اختلاف انواعها

نبذة ثالثة في الوزن الموسيقي

الوزن الموسيقي هو مجموع ضربات منفصلات بعضها عن بعض باوقات محدودة في القياس وطيقاً للنسبة والمكان فيمكن الانسان ان يوقع مقطعين بسيطين بضربتين فقط كما في " تِكْه " لكن الوقت يختلف بين اجزائها فمرادفة المقاطع تكون اما متساوية او غير متساوية فالمتساوية هي مراجعة الضربات بطريقة لا نشعر بها مراجعة الاوتار بشرط ان يطول الوقت عند نهاية كل مجموع من الضربات اكثر من غيره فلو حدث اختلاف بين المجموعات ولو بضربة واحدة شذَّ القياس وفسدت المساواة . ومجموع الضربات المتساوية الاوقات يسمى الوزن المجموع وغير المتساوية المقسوم . واذا قصر الوقت بين الضربات المتساوية حتى لا يمكن قسمتها بعد ذلك فيسميها الفارابي " المزج السريع " واذا تضاعف الوقت بين الضربات فيسميه " المزج الخفيف " او كان ثلاثة اضعاف " فالمزج الثقيل الخفيف " وهو يقابل الوتد المجموع . او اربعة اضعاف "فالمزج الثقيل" المقابل للفاصلة وما زاد على ذلك من الاوقات تضع لهُ الاسماء الَّتي نختارها بشرط ان تختص بالوزن المجموع . وهذا كلهُ يقابل تقسيم الاوقات في الموسيقى الافرنجيَّة . وهنا نختم الكلام على الوزن الموسيقي ونتنقل الى الكلام عن الآلات الموسيقيَّة الَّتي كانت مستعملة قديماً عند العرب واخصها العود او القيثارة والآلات الحديثة الَّتي يغلب استعمالها في عصرنا هذا

نبذة رابعة في وصف الآلات الموسيقية القديمة والحديثة

انَّ اعمّ الآلات الموسيقيَّة القديمة واكملها العود او القيثارة ولهُ خمسة اوتار اعلاها " البم " والثاني " المثلث " والثالث " المثنى " والرابع " الزير " والخامس " الحدّ " وتترتب هذه الاوتار بصفة حتى يعادل كل وتر ثلاثة ارباع ما فوقهُ والمسافة الَّتي بينهما تعدل ربعاً وهكذا ينحصر الديوانان بين البمّ وبنصر الحدّ اي اننا اذا ابتدأنا من الوتر الاول وهو البمّ ووقَّعنا السلمين فينتهي السلم الثاني او الديوان الثاني على الوتر الخامس وهو الحدّ بالدوس عليهِ بالبنصر والبرج المتوسط يكون على المثنى بالسبابة . ويربط عنق القيثارة بشريط في نقط معينة لتظهر المراكز الَّتي تدوس عليها الاصابع للدلالة على الابراج

المراد توقيعها . والمسافة ألتي بين الشريط تدعى " دستانًا " . فيضعون عادة اربعة دساتين مربوطة على المكان المستدق تحت الاوتار على عدد اقسامها ألتي يسمع منها النغم وتكون بقام حوامل الاوتار موازية للمشط الذي تشد بهِ اطراف الاوتار وكل دستان يكون عند نهاية الربع الاول من كل وتر

وكان لهذا العود في عصر الاصبهاني اربعة اوتار مقسومة الى اربعة دساتين السبابة والوسطى والبنصر والخنصر وهي اسماء الاصابع والاوتار وكانت تدعى في ايامهِ " مجرى " فاذا سئل عن نغم كان يسمي الوتر والدستان . وهذه الطريقة ألتي بها تتميز الابراج بالاصابع ادخلها اسحق بن ابرهيم الموصلي الذي مات سنة ٢٣٥ للهجرة وهكذا كان الاصبهاني يسمي النغم بذكر وزنهِ وطبقة نغمهِ كلحن الرمل الخفيف مثلاً بالسبابة على مجرى البنصر

والآلات الحديثة عديدة جدًّا واشهرها استعمالاً على نوعين منها ما يستعمل لحفظ الوقت كالطبل والطنبور ونحوها ومنها ما يستعمل لتوقيع الانغام ويقسم الى ذوات الاوتار وذوات النفخ وهي الآلات القصبيَّة . فمن الآلات الوتريَّة العود ولهُ سبعة اوتار مزدوجة لتزيد قوَّة الصوت ويكثر على الغالب استعمال خمسة منها فالوتر الاول يوزن قرارًا بالجيهاركاه والثاني رست والثالث نوى والرابع دوكاه والخامس عشيران والسادس بوسليك والسابع نهوفت . وكل وتر يرتفع اربعة عشر ربعًا عن الوتر الذي على يمينهِ اوقراره . وقد توضع علامة تحت الاوتار على مسافة الثلث من الرأس الى الجسر حتى اذا دُست عليها ثم ضربت عليهِ فارغًا نصونهُ يساوي صوت الوتر الذي فوقهُ او جوابهُ واذا اخذت ثلثي وتر وضربت عليهِ ترى ان الصوت يكون اعلى من صوت الوتر فارغًا باربعة عشر ربعًا واذا ضربت على نصفهِ يكون صوتهُ جوابًا لهُ . اما الخمسة الاوتار ألتي يكثر استعمالها الآن فهي الياكاه والعشيران والدوكاه والنوى والماهور وقد يزيدونهُ وترًا يوزن قرارًا بالجيهاركاه وباقي الابراج تحصل بالدوس على الاوتار باطراف اصابع اليد اليسرى . وطريقة الصعود والنزول كما يأتي :

اضرب بالريشة على الوتر الاول الياكاه الذي يكون قرارًا للنوى ثم على العشيران الذي فوقهُ (نسبة الى الصوت لا الى المركز) وبوضع السبابة عليهِ يحصل العراق وبوضع البنصر يحصل الرست والوتر الذي فوقهُ كاملاً الدوكاه وبالسبابة السيكاه وبالبنصر الجيهاركاه والوتر الذي فوقهُ كاملاً النوى وبالسبابة الحسيني وبالبنصر الاوج والذي

فوقهُ مطلقاً الماهور وبالسبابة المحير وبالبنصر البزرق وبالخنصر الماهوران واذا دست عليهِ عند نهاية الزند حصل الرمل توتي وان اردت النزول الى الياكاه فاعكس الترتيب

ومن ذوات الاوتار الكنجة الافرنجيّة وهي تشتمل على اربعة اوتار يسمى ارفعها النوى والثاني الدوكاه والثالث الياكاه والرابع قرار الرست وباقي الابراج والارباع تحصل بدوس اصابع اليد اليسرى على الاوتار كما في العود . والكنجة العربيّة وهي مؤلفة من وترين احدهما عن اليسار وهو النوى والآخر عن اليمين وهو الدوكاه ويكون احياناً رستاً والابراج الاخرى مع ارباعها تحصل حسبما ذكر قبلاً وصوتها يلذ السامع جدًّا لكنها ناقصة فاذا حدث وقوع انغامٍ كالعراق والعشيران والياكاه فتوقع على الاجوبة عوضاً عن الابراج الحقيقيّة. والطنبور وفيهِ ثمانية اوتار اربعة منها عن اليمين توزن ياكاه والاربعة الاخرى عن اليسار ووزنها نوى وباقي الابراج وارباعها يمكن تحصيلها بدوس الاصابع . ويربط شريط حول عنق الطنبور لكل برج وربعٍ لكي يسهل على الموقع ضربها بسرعة وهي تعتبر اسهل الآلات الموسيقيّة واكملها . والقانون من الدرجة الاولى بين الآلات الموسيقيّة لانهُ حينما يضرب عليهِ يخال السامع ان آلتين تضربان معاً في وقت واحد وتظهر فيهِ الابراج جليًّا باجمعها امام الموقع مع قراراتها واجوبتها ويداهُ تضربان على الاوتار وتعطيان القرار والجواب في وقت واحدٍ واوتارهُ ثلاثيّة اي كل بُرج مركب من ثلاثة اوتار لازدياد قوة الصوت وهو يعادل ست كنجات في قوة الصوت . وعدد اوتارهِ يكون غالباً اربعة وعشرين وترًا مثلثاً واعلى ابراجهِ جواب الحسيني وبعضهم يجعلونهُ جواباً للنوى وهكذا تترتب الاوتار الواحد تحت الآخر مشتملة كلها على ثلاثة دواوين وثلاثة ابراج . فاول ديوان يبتدئ بقرار قرار الجيهاركاه وينتهي عند قرار السيكاه . والثاني يبتدئ من قرار الجيهاركاه وينتهي عند السيكاه . والثالث من الجيهاركاه الى البزرق فيبقى ثلاثة ابراج زائدة وهي الماهوران والرمل توتي وجواب الحسيني . ويوزن القانون على نغمٍ حتى انهُ لا يمكن استعمالهُ لنغم آخر يختلف عنهُ بالارباع ما لم تحلّ الاوتار ويوزن ثانية على ذلك النغم . اما بعض الماهرين بضرب القانون فيضغطون على اطراف الاوتار باصابع اليد اليسرى لتغيير الانغام ومع ذلك فاللذة الّتي تتولد من الايقاع عند الضغط على الاوتار لا تعادل اللذة الّتي تنتج من الضرب على الاوتار المطلقة

وذوات النفخ عديدة ايضاً منها الناي والمزمار والكرفت والسرناي والارغن

والجناح وكلها مثقوبة الاَّ الجناح وهذه الاثقاب يسدها الضارب باصابعهِ ويفتحها عند تلحين الانغام . وهي مرتبة حسب السلم الموسيقي فاذا اريد تلحين ربعٍ فيرفع الموقع قسماً من اصبعهِ ويردفهُ بالآخر . وعندهم طريقة لتلحين برج لا وجود لهُ في السلم وهي ان يغلق بعض اثقاب ويفتح البعض الآخر في وقت واحد . اما الجناح فكناية عن قصبات متدرجة في الطول تصفّ بعضها ازاء بعض حتى اذا نفخ عليها خرجت ابراج السلم تماماً . هذا ما اردت اثباتهُ الآن آملاً ان يتحفنا ارباب هذا الفن بما عندهم في هذا الباب احياءً لمعالم هذه الصناعة البديعة

باب الزراعة

مستقبل الزراعة في القطر المصري

طرأ على الزراعة في القطر المصري هذا العام والذي قبلهُ طارئ لم يكن في الحسبان وهو هبوط الاسعار هبوطاً فاحشاً خسرت بهِ البلاد اكثر من مليونين او ثلاثة من الجنيهات رغماً عن زيادة الاعتناء بالزراعة . ومن المرجَّح ان هذا الطارئ ليس غمامة صيف عن قريب تنقشع فترجع الاسعار كما كانت منذ ثلاثة اعوام او اربعة وتستعيض البلاد عمَّا خسرتهُ في العامين الاخيرين بل هو نتيجةٌ لازمةٌ عن اتّساع نطاق الزراعة في اميركا الشماليَّة وسيبقى اعواماً كثيرة او يزيد وطأةً باتساع نطاقها في اميركا الجنوبيَّة ايضاً واستراليا وافريقية . ففي ولايات ارجنتين وحدها من اميركا الجنوبيَّة مئتان واربعون مليون فدان صالحة لزراعة الحنطة وهذه المساحة تزيد على مساحة الاراضي الزراعيَّة في القطر المصري نحو خمسين ضعفاً . وقد كانت تلك البلاد لا تزرع من الحنطة ما يكفي اهلها بل كانت تجلب القمح والدقيق من الولايات المتحدة الاميركيَّة لكنها شرعت في زرع القمح منذ اعوام قليلة وقد اتسعت زراعتهُ فيها اتساعاً عظيماً حتى انها اصدرت في العام الماضي عشرة ملايين اردب من الحنطة وفي الذي قبلهُ اربعة ملايين . ولا تزيد نفقة الاردب فيها على عشرين غرشاً ويقال انها اذا باعت الاردب بخمسة وعشرين غرشاً فقط كان منهُ ربح كافٍ لاصحاب الزراعة فيها . فاذا